

نم كان الحصار المنهك وسيلةً أُخرى من وسائلهم في مقاومة الدعوة، والترصد لمن يحاول الهجرة من المسلمين، ومطاردتهم حينها ذهبوا.

حتى كان عام الحزن، إيدانا بحتمية التماس منفذ من الأسوار التي سدّت الطريق. أحس المصطفى بموت زوجته السيدة خديجة وعمه أبي طالب، فراغ مكانها في دنياه، إحساساً سديد الوطأة، حتى لتقول إحدى الصحابيات «خولة بنت حكيم السلمية» رضى الله عنها: «يا رسول الله، كأنى أراك قد دخلتك خلة لفقدي خديجة».

ونقل عليه شعور بالغرابة، في بلده وبين أهله وعشيرته. لكن بيعة العقبة الكبرى هي التي وجهت مؤشر الأحداث نحو يثرب، دون أن تنأى بمكة عن مكانها في مركز النقل لمصير التحول...

احتشدت يثرب في انتظار المهاجر العظيم الذى لم يكن هناك أدنى شك في وجهته، برغم ما ذاع من توغل المطاردين في طريق مكة إلى يثرب، دون أن يظفروا بأثر منه. اليهود أرسلوا راصدهم يرقب مقدم النبي المهاجر، فأخذ مكانه على مشارف يثرب. وغير بعيد منه كان المهاجرون والأنصار من أوس وخزرج، يخرجون كل صباح بعد الصلاة إلى ظاهر المدينة، فما يزالون ينتظرون حتى تغلبهم الشمس على الظلال فيعودوا إلى دورهم. واليهودى قائم هناك في مرصده لا يريم. وإذ هم يدخلون بيوتهم ذات يوم بعد أن لم يبق ظل، سمعوا اليهودى يصرخ بأعلى صوته: «يا بنى قيلة، هذا جدكم قد جاء».

وسرت البشرى في أنحاء دار الهجرة، فتعالى الهتاف من الأحياء العربية يشق أجواز الفضاء ترحيباً بالمهاجر العظيم...

صرخة اليهودى المعلنة بأعلى الصوت، عن وصول المصطفى إلى دار هجرته، زلزلت الأرض تحت يهود في مستعمراتهم النائية في شمال الحجاز: من حى بنى قينقاع في قلب يثرب، إلى قريظه وخيبر وفدك وتيباء ووادي القرى. ورجّ صداها حصون الأبلق والوطيح والسلام وناعم والقموص، وعشرات غيرها من